المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية في دولة جنوب السودان

أ. د. عبد المنعم محمد صالح عبد الله*
باحث وأكاديمي من السودان

* تدريسي ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ بجامعة أم درمان الاسلامية

مقدمة

لا شك في أن قضية جنوب السودان تعدّ من أطول القضايا وأعقدها في القارة الإفريقية، برغم المحاولات الكثيرة لحلها هذه القضية عبر أنظمة حكم التي تعاقبت على السودان، لاختلاف درجة أهميتها وأولويتها في برامج حكوماتها، لذلك أريد لها أن تبقى قضية قائمة وبؤرة توتر لخدمة الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة وإسرائيل، سعياً لإضعاف السودان من ناحية وتفكيك دولته والتقرب شيئاً فشيئاً من منابع المياه للضغط على مصر، فضلاً عن الهيمنة على مصادر الطاقة لا سيّما النفط.

عانى السودان منذ استقلاله اضطرابات ومشاكل في جزئه الجنوبي، ومرجع ذلك إلى عوامل خلفها الاستعمار، فضلاً عن أن جنوب السودان لم ينل الرعاية الكافية من الحكومة المركزية في الشمال، ومرت مشكلة الجنوب بمراحل عديدة منها مرحلة توتر واشتباكات مسلحة ومحاولات للحل السلمى، ولكنها لم تتوصل إلى حلّ جذري ناجع.

كذلك ارتبطت المشكلة بتوجهات الحكومات المتعاقبة على السودان، الذى عانى من كثرة الانقلابات العسكرية، واختلاف وجهة نظر كل حكومة تجاه المشكلة طبقا لتوجهها السياسي، ولم يقتصر التدخل في المشكلة على دول الجوار الجغرافي للسودان، بل تعداه إلى دول أخرى مثل إيران (وإسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية، التي تسعى إلى

لم يقتصر التدخل في المشكلة على دول الجوار الجغرافي للسودان، بل تعداه إلى دول أخرى مثل إيران (وإسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية.

إسقاط نظام حكومة الإنقاذ الوطني، وهذه الاطراف تعمل على اثارة الاضطرابات لنظام الحكم القائم بالتدخل في مشكلة الجنوب، ولا شك أن استمرار الاضطرابات والحرب في جنوب السودان وبقاء المشكلة من دون حلّ سوف يؤدى إلى عدم الاستقرار السياسي، واستنزاف الموارد الاقتصادية للدولة وتمزق الوحدة الوطنية، ومع تفاقم المشكلة، فإن منطقة القرن الافريقي بما حوته من مشاكل مختلفة ستعانى من زيادة الاضطرابات، مما يهدد أمن المنطقة كلها.

جاء انفصال جنوب السودان عقب الاستفتاء الشعبي لمواطني الجنوب في كانون أول/ يناير 2011، وقد جاء الاستفتاء تطبيقاً لبنود اتفاق السلام الشامل الموقع بين حكومة السودان والحركة الشعبية لجنوب السودان في نيافاشا بكينيا في العام 2005، وقد أسفر هذا الاستفتاء عن انفصال جنوب السودان وقيام دولة جديدة باسم (دولة جنوب السودان).

وقد أثرت الدولة الجديدة على الساحة السياسية الإقليمية والدولية، وبدخولها إلى المجتمع الدولي غيرت الخارطة الجيوبولتيكية للمنطقة، وعملت على بناء استراتيجية لتوجهاتها الخارجية بإزاء علاقاتها مع القوى الدولية والإقليمية ودول الجوار الجغرافي وقد أسهمت الولايات المتحدة و(إسرائيل) في قيام دولة الجنوب لتكون الحد الفاصل للمصالح الأميركية في العمق الأفريقي وحوض النيل، ولكي تكون حداً فاصلاً بين الجنوب الأفريقي والعالم العربي الإسلامي، وبالتالي فأن اتفاق السلام لم يهدف إلى حسم الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب بقدر ما يهدف لفصل جنوب السودان ليتم بواسطته تهديد الأمن العربي.

اتفاق السلام لم يهدف إلى حسم الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب بقدر ما يهدف لفصل جنوب السودان ليتم بواسطته تهديد الأمن العربي.

يرجع الاهتمام (الإسرائيلي) بالسودان إلى ما قبل قيام هذا الكيان في عام 1948، وذلك عندما كان اليهود يفكرون في إقامة وطنهم القومي، وكان السودان الواسع المساحة قليل السكان والواقع تحت الاحتلال البريطاني، ضمن الخيارات التي طرحت لإقامة ذلك الموطن، وبعد قيام الكيان (الإسرائيلي) على أرض فلسطين استمر الاهتمام (الإسرائيلي) بالسودان نسبةً لموقعه الاستراتيجي المتميز على البحر الأحمر والرابط بين الدول العربية والأفريقية ونسبةً لِموقفه الرافض لـ(إسرائيل) منذ قيامها، ولأنه يمثل خطراً

على التغلغل الصهيوني في القارة الأفريقية خاصةً بعد إعلان المشروع الإسلامي.

أولاً: الاهمية الاستراتيجية لجنوب السودان بالنسبة إلى إسرائيل

عُرفت دولة جنوب السودان المنفصلة بأنها تقع في المنطقة المدارية بين خطي طول3 ـ 35 درجة شرقاً ودائرتي عرض2 ـ 12درجة شرقاً، وتحدها خمس دول هي إثيوبيا وأوغندا وكينيا وإفريقيا الوسطي والكنغو الديموقراطية[1]، وتبلغ مساحته 600 ألف كم مربع تقريباً، وتماز بمناخها الماطر والدافئ والغابات البكر والثروات والموارد الطبيعية، ويعتنق معظم سكان الجنوب معتقدات محلية ومسيحية وإسلامية وبعضهم لا دين لهم إذ أشارت إحصائية عام 1986 إلى أن 31% تقريباً من الجنوبيين هم من المسلمين، وقرابة 48% من المسيحيين والبقية تتوزع بين اللادينيين وأصحاب الديانات الأفريقية الأخرى[2]، وبها مجموعات عرقية متباينة لها لغاتها المحلية المتعددة، ومن أشهر قبائل الجنوب الدينكا والشلك والنوير والباريا والأشولي والجور واللاتوكا والمورلي والزاندى والفرتيت وهي موزعة على ستين قبيلة ذات أصول إفريقية وسودانية.

(1) أحمد عبدالله آدم، قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش، الدار الوطنية للإعلام، الخرطوم1996،، ص33.

(2) جريدة الشرق الأوسط: الاحد 3 صفر 1432 هـ 9 يناير 2011، العدد 11730.

جنوب السودان يعد جزء مهم للسودان عن طريق الثروات التي يكتنزها والطبيعة والمناخ الذى يتمتع بهما فضلاً عن النفط ومياه النيل، وأنه يمثل عمق استراتيجي للشمال، فضلاً عن موقع السودان الاستراتيجي على البحر الأحمر وعلى امتداد مجرى النيل وبالقرب من القرن الافريقي متحكم في بوابة الاتصال الجغرافي بين الوجود العربي والإسلامي في شمال افريقيا، ومن هنا تأتى أهميته السياسية والجغرافية والاقتصادية والأمنية، بذلك يصبح جنوب السودان محور الأطماع الأجنبية من أجل الاستفادة من ثرواته.

(3) حمدى عبد الرحمن، مشكلة جنوب السودان، ندوة المجلس الاعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996.

إن الموقع الجيو استراتيجي لدولة جنوب السودان ذو أهمية بالغة لـ(إسرائيل) نسبة لوقوعها في أعالي منابع نهر النيل، وبالتالي فإن إقامة علاقات قوية معها من شأنه أن يحقق مكاسب عديدة سياسياً واقتصادياً وأمنياً، وتهدف (إسرائيل) بذلك لأن تكون قوة ضاربة سياسياً واقتصادياً في المنطقة بجانب بناء علاقات مع دول منابع حوض النيل لحل مشكلة المياه بالنسبة إليها[3].

إن الموقع الجيو استراتيجي لدولة جنوب السودان ذو أهمية بالغة لـ(إسرائيل) نسبة لوقوعها في أعالي منابع نهر النيل.

منذ انفصال جنوب السودان تحركت (إسرائيل) بديناميكية عالية وسريعة في العمل على أن تضع يدها مع حليف تتعاون معه في وسط إفريقيا يربط لها الجنوب الإفريقي مع الشمال، وتضع من طريقه مخططاتها في مياه النيل في شقها الجنوبي، ومن ثم عن طريق علاقاتها مع جنوب السودان وإثيوبيا تكون قد أوجدت موقعها وقرارها في منابع ومياه النيل، فعملت إسرائيل عبر المساعدات والدعم لاستقطاب الدولة الجديدة، والتي بالضرورة وهي في مراحل تأسيسها تفتقد الكثير من البنيات وتحتاج المزيد من العون.

إن العلاقة بين الانفصاليين في جنوب السودان و(إسرائيل) لم تكن سرية بدءاً منذ عهد جون قرنق الذي اتسم بعلاقة مباشرة مع الكيان الصهيوني.

ثانياً: العلاقات الإسرائيلية بدولة جنوب السودان

إن العلاقة بين الانفصاليين في جنوب السودان و(إسرائيل) لم تكن سرية بدءاً منذ عهد جون قرنق الذي اتسم بعلاقة مباشرة مع الكيان الصهيوني، وحصل على تمويل وتسليح لحركته إبان معارك الاقتتال عام 1990[4]. ويذكر أنه كان لهذا الكيان أذرع خفية في الجنوب من أجل الانفصال، وإن كانت غير حاضرة في المشهد بشكل رسمي، إلا إنها متوغلة في معظم الهيئات الدولية والإغاثية المنتشرة في جنوب السودان، إلى جانب سيطرتها على فنادق ومطاعم الجنوب تحت ستار الشركات الكينية والأوغندية والإثيوبية المالكة لهذه المشروعات.

(4) «علاقات السودان الخارجية في ضوء الظروف المحلية والإقليمية والدولية»، الراصد للبحوث والعلوم: www.arrasid.com

وتشير الدلائل إلى أن دولة جنوب السودان قد وثقت علاقتها بالكيان الصهيوني فور إعلان الاستقلال، إذ يجمع بينهما العديد من المصالح المشتركة، ولا سيّما في ظل رغبة (جوبا) في الاستفادة من خبرات (إسرائيل) في مجالات الزراعة والبحث العلمي والتقني[5]، وقيام (إسرائيل) بتدريب مقاتلين من الحركة الشعبية، وبتمويل صفقات تسليح جيش دولة جنوب السودان، وبالإسهام في بناء بنيته التحتية، إلى جانب قيامها بترتيب تمويل إقامة مقار لسفارات الدولة الجديدة في مختلف أنحاء العالم[6].

(5) عبد الغني بريش اللايمي، «من مصلحة دولة جنوب السودان إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل»، 10 يوليو 2010: www.sudaneseonline.com

(6) أيمن بريك، «جنوب السودان.. والمخططات الصهيو أمريكية»، 2 مايو 2011: http://islamtoday.net/albasheer/artshow-12-150396.htm

وفي المقابل تمثل دولة جنوب السودان خياراً استراتيجياً لـ(إسرائيل)، إذ ستساعد جنوب السودان كثيرا في حلّ مشكلة نقص الطاقة الذي تعانيه، فضلاً عن رغبة (تل أبيب) في الحصول علي مياه النيل والسيطرة عليها،

بحيث تصبح علاقات الكيان الصهيوني بالدولة الجديدة ورقة ضغط يستعملها ضد مصر.

ثالثاً: المصالح (الإسرائيلية) في جنوب السودان[7]

(7) سامح عباس، «دولة جنوب السودان.. ورقة إسرائيل الجديدة ضد العرب»، 2 يناير 2011: ww.islamway.com

بدأت الأطماع الصهيونية في الثروات الطبيعية للسودان في الظهور مع بروز الدور الصيني في القارة الإفريقية عامة، وفي السودان على وجه خاص، ولا سيّما بعد توقيع الصين لعدد من الصفقات والاتفاقيات الاقتصادية والاستثمارية مع حكومة (الخرطوم) تقدر بمليارات الدولارات، ولا سيّما وأن منطقة جنوب السودان تتمتع بثروات نفطية ضخمة واعدة؛ لذا فإن إقامة دولة جديدة مسيحية في جنوب السودان، والتي سبق لها وإن استعانت في الماضي بـ«إسرائيل»، ستساعدها كثيرًا في حلّ مشكلة النقص في مجال الطاقة الذي تعاني منه دومًا، فضلاً عن ذلك، فإن إقامة دولة في جنوب السودان على علاقات قوية مع «إسرائيل» سيفتح الباب أمام تل أبيب للحصول على مياه نهر النيل وتزيد من فرض سيطرتها عليها، عبر بناء المزيد من السدود وإقامة المشروعات المائية، وسبق وأن فعلت في إثيوبيا، لتكون ورقة جديدة تلاعب بها مصر، لتضييق الخناق عليها وابتزازها هذه المرة سيكون سياسياً واقتصادياً.

إقامة دولة في جنوب السودان على علاقات قوية مع «إسرائيل» سيفتح الباب أمام تل أبيب للحصول على مياه نهر النيل .

إن الوجود (الاسرائيلي) في منطقة حوض النيل وجنوب السودان ليس مجرد صدفة، على الرغم من أنه يدر مئات الملايين من الدولارات على الصهاينة، فمن جهة هو يوفر لهم أداة قوية لرصد كل المعلومات والأحداث التي تدور في المنطقة، ومن جهة أخرى يضع يدهم على منطقة مهمة في مسار مياه نهر النيل، ويقوي نفوذهم في المنطقة ويوفر أرضية صلبة لمعيشة الاستخبارات الصهيونية هناك، والعمل من خلف الستار بهدوء.

وهذه الأعمال (الإسرائيلية) لا تكشف عن وجهها الصريح على اساس أن هذه الشركات قام بتأسيسها صهاينة في البلدان الأفريقية المحيطة، ثم جاءت لتعمل في الجنوب، وهو ما يدفع الجنوبيين لنفي أي سيطرة صهيونية على مجال الفندقة هناك بسهولة عبر التصريحات الصحفية، فهذه الفنادق التي تدار في جوبا مثلاً لا تدار بواسطة الكيان الصهيوني، وإنما عبر مستثمرين

أجانب في جنوب السودان من دول لها علاقة بالسودان، اريتريا، إثيوبيا، أوغندا، كينيا[8].

(8) المصدر السابق.

والمفاجأة الكبرى هي أن أكثر من 80 ـ 90% من هذه الفنادق يسيطر عليها (إسرائيليون) قدموا مع تدشين اتفاقية سلام الجنوب في 2005 ونشطوا في استثمار اقتصادي كبير هناك، وتخصصوا في مجال الفندقة الذي يعد استثمار «غير مباشر» إذ تدار هذه الفنادق عبر فروع فنادق تعمل من دول الجوار الأفريقية (أوغندا ـ كينيا ـ أثيوبيا) ويتملكها (إسرائيليون)، وبعد الانفصال ظهروا بشكل بارز في الجنوب.

لا تتعلق القضية بسيطرة (الإسرائيليين) على قطاع الفندقة فقط في جنوب السودان، وإنما بقضية رهن اقتصاد الجنوب كله بالكيان الصهيوني، إذ الهدف الصهيوني ـ والغربي عموما يكمن في تفتيت السودان وحصار مصر من الجنوب ـ منذ أتفاق سلام نيفاشا عموماً هو التغلغل في اقتصاد الجنوب، والسعي لترويج فكرة فصل الجنوب، وتشجيع الجنوبيين عليها للحفاظ علي هذه المصالح الاقتصادية الصهيونية هناك.

الهدف الصهيوني ـ والغربي عموما يكمن في تفتيت السودان وحصار مصر من الجنوب.

فهناك معلومات متداولة أن مستثمرين بريطانيين على علاقة بالكيان الإسرائيلي تم الاتصال بهم للاستثمار في دولة جنوب السودان في مجالات عدة، من بينها المعادن الثمينة والنفط، وذلك في مناطق تقع على الحدود مع كينيا، وأن إسرائيل لا تكتفي بمجال الفندقة، وإنما بمجالات أخرى خصوصاً التسليحية، فهناك تقارير عدة تؤكد أن الأسلحة بدأت تتدفق إلى جنوب السودان، وأن جهاز المخابرات الإسرائيلي يأتي في مقدم أجهزة مخابرات دول عدة تورطت في صفقات تهريب السلاح إلى الجنوب.

والحكومة الصهيونية تركز أيضاً علي المخزون النفطي باعتبار أن النفط السودان الذي بلغ تصديره نحو 600 ألف برميل في اليوم عام 2009م يأتي معظمه من جنوب السودان، ويقع في أراضي قبائل النوير الجنوبية، والشركات الأمريكية تعتمد على (إسرائيل) لتمهيد الطريق لعلاقات مستقبلية مع الجنوب استلهاماً لعمل الموساد الإسرائيلي في دول حوض النيل[9].

(9) الكشف عن خطة إسرائيلية لتوصيل مياه النيل إلي الدولة العبرية، شبكة محيط، 10 يونيو 2010.
http://moheet./show_news.

ويعاقب السودان بالفصل لأنه جنوب مصر، وفصل الجنوب هي محاولة لعقوبة مصر، لأن الجنوب يعني التوسع في المياه المرتقب أو المستقبلي

لأمن مصر المائي، لأن كل قنوات المياه كقنوات جونقلي وكقناة مشار وغيرها من القنوات لزيادة مياه النيل إنما ستكون في جنوب السودان، وهم ضربوا وحدة السودان عبر فصل الجنوب وعبر شغل مصر بالالتفات للخلف نحو مياه النيل دوما بوصفها أمناً قومياً، لا سيّما أن أوغندا وأثيوبيا أيضاً بدأت تفتح ملف المياه، وأن هناك رغبة صهيونية في خلق «إسرائيل ثانية» في جنوب السودان لأسباب عديدة بعضها يتعلق بزرع خاصرة جديدة في جنب العرب والسودانيون تشغلهم عن الشمال (إسرائيل الصهيونية)، وبعضها يتعلق بالرغبة في الترويج لنموذج صهيوني في التنمية في أفريقيا لجذب الأفارقة للاستثمارات والأعمال والخبرة الصهيونية، وتحويل جنوب السودان لإسرائيل جديدة سيكون هو المحك والدعاية المجانية لهذه الرغبة الصهيونية في الترويج لنموذج تنموي صهيوني في مناطق أعالي النيل عامة.

هناك رغبة صهيونية في خلق «إسرائيل ثانية» في جنوب السودان لأسباب عديدة بعضها يتعلق بزرع خاصرة جديدة في جنب العرب.

على الرغم من أهمية ملف اللاجئين الجنوبيين الموجودين في (اسرائيل)، فإن مصالحها في دولة الجنوب لا تقتصر على ذلك وتتنوع على أكثر من مستوى، ففي المجال العسكري ـ الأمني، تعنى (إسرائيل) بتنظيم وتعزيز القوات العسكرية والاستخبارية في جنوب السودان، لتوسيع سوق الأسلحة من جانب، وللحصول على معلومات دقيقة حول ما يجري في المنطقة من جانب آخر، ولا يخفى ما لهذا من أهمية لها، بسبب المسافات الواسعة التي تفصلها عن السودان.

تعمل (إسرائيل) على إنشاء قاعدة جوية في منطقة «فلج» بجنوب السودان، بهدف تدريب الطيارين الحربيين الجنوبيين، لتؤكد بذلك على الأهمية القصوى التي توليها لهذه الدولة، التي أصبحت جزءاً رئيساً من الاستراتيجية الإسرائيلية نحو أفريقيا جنوب الصحراء. وتعتزم (إسرائيل) بناء ثكنات لقوات الحدود ومستشفيات عسكرية، وإنشاء مركز بحوث للألغام في جوبا. وتسلّمت استخبارات «الجيش الشعبي» و"وحدة الأمن الرئاسي» في دولة جنوب السودان مؤخراً، أسلحة إسناد حربية وكمية من أسلحة المدفعية وعدداً من الراجمات وأجهزة للرصد والاستشعار الحراري مقدمة من الكيان الصهيوني. وقد وصلت الشحنة، طبقاً لتقارير صحفية نشرت مطلع كانون اول ـ يناير 2012، عبر الحدود الأوغندية إلى داخل «جوبا».

تعمل (إسرائيل) على إنشاء قاعدة جوية في منطقة «فلج» بجنوب السودان.

وارتباطاً بهذا البعد العسكري ـ الأمني، تحرص (إسرائيل) على تعزيز التعاون مع دولة جنوب السودان لمواجهة التهديدات المحتملة الموجهة لها من داخل القارة، وهناك تقديرات أنه بفضل المساعدة التي تلقتها من دولة جنوب السودان تمكنت (إسرائيل) من شن نحو أربع غارات، على الأقل، في السنوات الماضية، على قوافل سودانية زعمت (إسرائيل) إنها كانت تحمل أسلحة ومقاتلين إلى قطاع غزة[10].

(10) سامح عباس، «دولة جنوب السودان.. ورقة إسرائيل الجديدة ضد العرب»، مصدر سابق.

في مجال الاقتصاد، ثمة ما يغري الكيان الصهيوني بتعزيز علاقته مع دولة تضم أكثر من 8 ملايين نسمة، وذات احتياطيات نفطية مهمة (بالمرتبة 23 في العالم) كانت توفر نحو 90% من العملة الصعبة للسودان الموحد (سابقاً)، وقد بّين الإسرائيليون أن مجالات التعاون مع جنوب السودان ستشمل قطاعات الزراعة والغابات والنفط والتعدين والتكنولوجيا والطرق والجسور والكهرباء وغيرها.

وذكرت تقارير صحفية حديثة أن مبعوثين إسرائيليين ناقشوا مع حكومة «جوبا» إنشاء خزان للطاقة الكهربائية في مدينة «نمولي» (خلال فترة وجيزة)، وشق قنوات للمياه. وبدأ مستثمرون إسرائيليون بإنشاء محطة لتنقية المياه بين النيل الأزرق ودولة إثيوبيا على حدود جنوب السودان. وفي المستقبل المنظور، كمثال، يمكن للعديد من رجال الأعمال الإسرائيليين الذين يرسلون معامل النسيج وسواها إلى الصين أن يتوجهوا بدلاً من ذلك إلى جنوب السودان، ولا سيّما أن الأجور هناك منخفضة جداً[11].

(11) أحمد سبيع، «خريطة المستفيدين من انفصال جنوب السودان»، 26 أكتوبر 2013: ww.ikhwanonline.

في المقابل تسعى دولة جنوب السودان إلى تحقيق العديد من المصالح والأهداف عبر توجهها نحو تعزيز العلاقات مع (إسرائيل)، فمن ناحية، يمكن التقدير بأن هذه الدولة الوليدة معنيّة بإقامة تحالف دولي بمضامين استراتيجية عسكرية وأمنية وسياسية، مع بعض القوى الإقليمية القوية بشكل يساعدها في مواجهة المخاطر التي يمكن أن تهددها، ولا سيّما إنها تحاذي دولاً أفريقية لا تربطها بها علاقات ودية، وربما تنشأ نزاعات معها في المستقبل. ويبدو أن (إسرائيل) هي الدولة المفضلة لدى جنوب السودان لهذا الغرض لتكون دولة حليفة، ولا سيّما بفعل «ثقلها الدولي»، ممثلاً بعلاقاتها الوطيدة مع الولايات المتحدة وأوروبا، وثانياً بفضل ما تملكه من خبرات وأسلحة حديثة.

هذه الدولة الوليدة معنيّة بإقامة تحالف دولي بمضامين استراتيجية عسكرية وأمنية وسياسية.

تهدف دولة الجنوب إلى الاستفادة من الخبرات الإسرائيلية في مجالات الزراعة والبحث العلمي من أجل تعزيز فرص النمو الاقتصادي لديها.

ومن ناحية أخرى تهدف دولة الجنوب إلى الاستفادة من الخبرات الإسرائيلية في مجالات الزراعة والبحث العلمي من أجل تعزيز فرص النمو الاقتصادي لديها، لا سيّما إنها تعد من أكثر دول العالم فقراً، وتحتاج إلى الدعم والمساندة من دول العالم كافة لترسيخ أركان الدولة الوليدة. إن زيارة رئيس دولة جنوب السودان إلى الكيان الصهيوني وما أسفرت عنه من نتائج تشير إلى أن مستقبل العلاقات بين الجانبين سيكون أكثر تعاوناً، وربما تصبح دولة جنوب السودان في وقت قصير قوة إقليمية فاعلة وحليفاً مهماً لـ(إسرائيل) والغرب. على الرغم من ما قد يثيره ذلك من تحفظات، فإنه يشير إلى ضرورة اتخاذ خطوات إيجابية من جانب الدول العربية لاحتضان الدولة الوليدة وتعزيز العلاقات معها لتكون قوة داعمة للعرب وقضاياهم وليس مصدراً إضافياً للتهديد[12].

(12) المصدر السابق.

رابعاً: أثر العلاقات الاسرائيلية الجنوب سودانية في الأمن القومي السوداني[13]

(13) أعمال ندوة «مستقبل علاقات الجنوب بالدول المجاورة وأثرها علي الشمال»، المركز العالمي للدراسات الإفريقية، 24 مايو2011: http://www.icas.sd

يعد انفصال جنوب السودان عن شماله والإعلان عن قيام دولة مستقلة فيه بمثابة الحلم الذي ظل يراود قادة الكيان الصهيوني لعقود طويلة خاصة وأنهم يحلمون بوجود كيانات صغيرة تكون أقرب لها وتقف على مسافة واحدة معها من العداء والخلاف مع العرب. وكانت «إسرائيل» بطبيعة الحال من أول من اعترف بهذه الدولة أملاً منها في الارتباط بشكل وثيق معها، وليس هناك شك في أن نموذج دولة جنوب السودان وعلاقاتها المتوقعة مع الكيان الصهيوني يحمل في طياته أبعاد ودلالات استراتيجية تمثل خطراً حقيقياً على الأمن القومي العربي، ولا سيّما مصر والسودان.

أن نموذج دولة جنوب السودان وعلاقاتها المتوقعة مع الكيان الصهيوني يحمل في طياته أبعاد ودلالات استراتيجية تمثل خطراً حقيقياً على الأمن القومي العربي، ولا سيّما مصر والسودان.

ومما يجسد مدى الأهمية التي يوليها الكيان الصهيوني لدولة جنوب السودان، هو الاهتمام غير المسبوق من جانب الإعلام العبري في دولة الاحتلال بتغطية حية سواء لفاعليات الاستفتاء حول انفصال الجنوب أو احتفالية الإعلان الرسمي عن دولة جنوب السودان، والذي انعكس بكم هائل من التقارير والدراسات البحثية التي عبَّرت عن الارتياح الصهيوني لإقامة هذه الدولة.

أبدت الحكومة السودانية قلقها من تسارع وتنامي وتيرة التطبيع بين دولة جنوب السودان والكيان الصهيوني، وعبرت الخرطوم عن تخوفها من أن ترمي علاقة الدولة الوليدة بالدولة العبرية لزعزعة استقرار السودان. وذكر بعض المسؤولين في السودان أن الحركة الشعبية ظلت تلقى العون من الكيان دعماً لاستراتيجية منع التمدد العربي والإسلامي، وأضافوا: ثبت عملياً أن الأمر أكبر مما كان يعتقد أو يقدر بعد تسارع خطوات التطبيع بين جنوب السودان والكيان الصهيوني. وتنظر الحكومة السودانية لهذا الأمر من زاويتين **الأولى** أنه شأن داخلي سيادي لجنوب السودان لا يعنيها في شيء ولكن من زاوية **ثانية** تتحسب من تأثير هذه العلاقة على استقرار الأوضاع الأمنية بالسودان أو الإضرار به[14].

(14) احمد على الكاظم، مستقبل جنوب السودان، قطر مجلة المجتمع، العدد 1637، 2006، ص23.

ويرى بعض الخبراء أن الأمر المقلق في هذا المنحي أن الكيان الصهيوني سيعمل على محاربة الشمال انطلاقاً من وجودها الرسمي في الجنوب سواء بالتلاعب في المياه أو بعمل استخباري، أو بوجود عسكري قاعدي صريح، فهي من المؤكد لم تسع للمجيء إلى الجنوب من أجله وحده خاصة إذا فهمنا مغزى مقولة مؤسسيها قبل نصف قرن من الزمان أن دولة (إسرائيل) تمتد حدودها من النيل إلى الفرات[15].

(15) الكشف عن خطة إسرائيلية لتوصيل مياه النيل إلي الدولة العبرية، شبكة محيط، مصدر سابق.

وتتسارع خطى التطبيع والتعاون الكامل بين الكيان الصهيوني ودولة جنوب السودان، وأصبح الحديث عن علاقة استراتيجية تقوم بين الدولتين مفتوحة على مصراعيها وتتناولها الصحف العبرية وبلا تردد، ومع توتر العلاقات بين (الخرطوم) و(جوبا) اثر الهزائم التي ألحقها الجيش السوداني بالجيش الشعبي التابع لدولة الجنوب في كل من ولايتي النيل الأزرق وجنوب كردفان، وطلب الرئيس (سلفاكير) من الرئيس الأمريكي (أوباما) فرض حظر للطيران السوداني في حدوده مع دولة الجنوب، وقرب زيارته للدولة العبرية.. تحركت كل القوى المعادية للسودان في الداخل والخارج.. إذ استغلوا جميعاً ارتفاع أسعار السلع الضرورية.. والتي جعلتهم يحلمون بالربيع العربي.. وتحركت قوى الشر خارج السودان، وتمردت أحزاب المعارضة على قياداتها المشاركة في الحكومة العريضة، وموقف المعارضة السودانية المعادي للحكومة والرافض لأي تعامل معها هو الذي شجع المتآمرين في الحركة الشعبية في بعض البلدان الأوروبية.

أكد كثير من الباحثون أن وجود (إسرائيل) بجنوب السودان حيوي ومتجدد وله إسقاطاته على المجتمع السوداني بصفة خاصة والمحيط العربي بصفة عامة، ويرون أن هذا الوجود في دولة جنوب السودان ذو خصوصية، لأن الجنوب انفصل من جسد السودان، والسودان ليس له علاقة مع الكيان الصهيوني، وأن أهداف وجود إسرائيل في دولة جنوب السودان لا تنفصل عن أهداف وجودها في أفريقيا، وأن الصحوة الإسلامية التي تعم المنطقة العربية الآن وهذه الأيدولوجية يعدها الكيان الصهيوني تهديداً لوجوده.

أن الصحوة الإسلامية التي تعم المنطقة العربية الآن وهذه الأيدولوجية يعدها الكيان الصهيوني تهديداً لوجوده.

بقدر ما يكون جنوب السودان عمقا استراتيجيا وحيوياً مهما للسودان، لوجود روابط تاريخية وثقافية وعلاقات اقتصادية مهمة، فإن هذا الوجود يشكل خطراً كامناً على أمن واستقرار المنطقة العربية بدءاً من حركة المرور في البحر الأحمر، وضمان تدفق مياه نهر النيل، والعلاقات الحدودية مع شمال أفريقيا العربية، بسبب التداخل الكبير في هذه القضايا بين العالم العربي والأفريقي[16].

لاشك في أن (إسرائيل) في إطار سعيها لمحاصرة السودان وإضعافه لن توفر فرصة ثمينة كتلك التي يوفرها جنوب السودان، ومن ثم فإن عدم قدرة السودان على تطوير استراتيجيات جديدة في علاقاته مع جنوب السودان من شأنه أن يبقي فرص تلاعب الكيان الصهيوني بأمنه ومصيره قائمة.

أن خطوة التطبيع المتسارعة ما بين (إسرائيل) وجنوب السودان بدأت في الخطى سريعاً، وكان وفد (إسرائيلي) رفيع المستوى قد زار دولة جنوب السودان لبحث افاق العلاقات بين البلدين، إذ اتفقا على تبادل التمثيل الدبلوماسي بينهما، وأكد (سلفاكير ميارديت) رئيس حكومة جنوب السودان للوفد (الاسرائيلي) أنه اختار مدينة (القدس) لتبني فيها سفارة بلاده عوضاً من تل أبيب، ومع اعتبار ذلك شأناً يخص دولة جنوب السودان ولا يعنى حكومة الخرطوم في شيء، الا أنه ربما يكون من وراء التسارع فيه خطوات التطبيع هذه محاولات للأضرار بالسودان، وأن الوجود (الإسرائيلي) في دولة جنوب السودان فيه تهديد مباشر للأمن القومي السوداني، وهناك وجود (إسرائيلي) أمني واستخباراتي واقتصادي في الجنوب وأخذوا الأراضي الزراعية في أعالي وشمال بحر الغزال على حدود السودان[17].

(16) دور التدخلات الخارجية في أزمة جنوب السودان، السياسية الدولية، http://digital.ahram.org.eg/home.aspx

(17) أحمد سبيع، «خريطة المستفيدين من انفصال جنوب السودان»، مصدر سابق.

إن (لإسرائيل) الآن علاقات قائمة في مناطق على حدود السودان وليس في العمق الجنوبي وهذا أمر مقصود وهذا يساعد على إنتشار (إسرائيل) في كل مكان في السودان، ويشير بعض المراقبين إلى أن هناك اتفاقات مبرمة بين الكيان الصهيوني وحكومة جنوب السودان تنصُّ على قيام الكيان بتمويل صفقة طائرات مروحيَّة هجوميَّة لتسليح جيش الجنوب الجديد في إطار استكمال منظومة تسليح الجنوب التي شملت من قبلُ أسلحة وذخائر، وقاذفات مضادَّة للدبابات، ومنظومة صواريخ ومدافع مضادة للطائرات، ودبابات وسيارات وعتادًا عسكريًّا، في حين تناقلت الأخبار وصول حشد كبير من الخبراء الصهاينة في مختلف المجالات ـ نحو ألف خبير ـ إلى أن (إسرائيل) كانت ولا تزال تبحث عن أوراق في ملف النيل للضغط بها على مصر، وهذا أمر تقليدي في السياسة (الإسرائيلية)، إلا أن الأخطر أن هناك تعاونًا عسكريًا متصاعدًا بين الكيان الصهيوني ودولة جنوب السودان، ولعل الكيان يدرك أن تصاعد المد الثوري في المنطقة العربية، يحرمها من أوراق الاستقرار، وأن عليه أن يعوض ذلك بتدعيم التعاون العسكري والاستراتيجي مع دولة الجنوب.

حين تناقلت الأخبار وصول حشد كبير من الخبراء الصهاينة في مختلف المجالات ـ نحو ألف خبير.

لا يمكن القول بأن علاقة جنوب السودان والحركة الشعبية وقيادات الجيش الشعبي والقيادات العسكرية والأمنية في جنوب السودان جديدة بالكيان الصهيوني، وأن ذلك كان سرًا ثم أصبح علنًا، فقد كانت هذه العلاقات قبل انفصال الجنوب موجودة أيضًا، وكشفتها معلومات مخابراتية وصحفية.

وختاماً تمثلت مشكلة جنوب السودان أساساً من طابع الاختلافات في الكيان الاجتماعي والثقافي والبيئة التي شكلت موقعاً جغرافياً مميزاً، واستطاع الاستعمار أن يجعلها معضلة صعبة الحل وأدت إلي أكبر حدث سياسي في تاريخ السودان بعد الاستقلال وهو الانفصال الكامل وقيام دولة جنوب السودان المستقلة سياسياً وسيادياً، ولم تتوقف الأطماع الخارجية الباحثة عن المصالح الخاصة عند هذا الانفصال بل سعت لامتداد الشقاق وبُعد الوحدة أو حتى التعاون فيما بين الدولتين.

فقد حاول الكيان الصهيوني منذ استقلال السودان إقامة علاقات مع الأنظمة الوطنية السابقة ولكنه فشل في ذلك على الرغم من وجود اتصالات مع بعض

الأشخاص في هذه الأنظمة حينها، وإن فشله هذا جعله يتجه إلى الجماعات الآثنية ذات المطالب الانفصالية لدعمها وزعزعة النظام السوداني وتحييد السودان وإبعاده عن أي دور يقوم به في الصراع العربي ـ الصهيوني.

ويمثل الوجود الاقتصادي والسياسي والشعبي والامني والعسكري في نظر الكثير من الباحثين بالنسبة إلى الكيان الصهيوني في دولة جنوب السودان يشكل خطراً كبيراً في مستقبل الأيام على الأمن القومي العربي عامة وعلى السودان بصفه خاصة لان هنالك تداخلاً بين الشمال والجنوب في كثير من المناطق الحدودية والتي لايزال الصراع قائم حولها، ومن ثم يصبح استقراره والحفاظ على هويته ضمانا لأمن العالم العربي وجزء كبير من العالم الاسلامي، وأن هذه القضية من ناحية أخرى تعد أنموذجاً للمشكلات التي تثيرها الهوية، فالبعد الديني حاضر في نشأتها ومسارها بشكل جلي

ولذلك فهناك حاجة إلى ضرورة إيجاد آلية عربية سريعة وحازمة تعمل تحت مظلة جامعة الدول العربية للتعامل مع الخروقات المتوقعة بتحريض صهيوني من جانب هذه الدولة الوليدة، بهدف حفظ استقرار الأمن القومي العربي الذي بات مستباحاً ومهدداً أكثر من ناحية الجنوب، بعد التمرد الأثيوبي الذي انعكس بإصرارها على بناء سدود مائية جديدة تؤثر في حصة مصر والسودان من مياه نهر النيل.